

أضواء البيان

@ 327 @ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طَبَقًا { . .

الوجه الثاني : أنها قيل لها طرائق ، لأنها طرق الملائكة في النزول والعروج ، وقيل : لأنها طرائق الكواكب في مسيرها ، وأما قول من قال قيل لها طرائق لأن الكل سماء طريقة ، وهيأة غير هيأة الأخرى وقول من قال : طرائق ؟ أي مبسوطات فكلاهما ظاهر البعد ، وقوله تعالى : { وَمَا كُنَّا عَنْ الْخَلْقِ غَافِلِينَ } قد قدمنا أن معناه كقوله { وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ } لأن من يمسك السماء لو كان يغفل لسقطت فأهلك الخلق كما تقدم إيضاحه وقال بعضهم { وَمَا كُنَّا عَنْ الْخَلْقِ غَافِلِينَ } بل نحن القائمون بإصلاح جميع شؤونهم ، وتيسير كل ما يحتاجون إليه وقوله { وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ } يعني السموات برهان على قوله قبله { ثُمَّ إِنْ نَسَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَبْعَثُونَ } لأن من قدر على خلق السموات ، مع عظمها فلا شك أنه قادر على خلق الإنسان كقوله تعالى { لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ } وقوله تعالى : { أَعَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بِإِذَاهَا } . وقوله : { أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ } والآيات بمثل هذا متعددة . .

وقد قدمنا براهين البعث التي هذا البرهان من جملتها ، وأكثرنا من أمثلتها وهي مذكورة هنا ، ولم نوضحها هنا لأننا أوضحناها فيما سبق في النحل والبقرة . والعلم عند الله تعالى .
7 ! . ! 7

قوله تعالى : { وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنْ نَزَّلْنَا عَلَيَّ ذَهَابَ بِهِ لَقَادِرُونَ } . ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة : أنه أنزل من السماء ماء معظمًا نفسه جل وعلا بصيغة الجمع المراد بها التعظيم وأن ذلك الماء الذي أنزله من السماء أسكنه في الأرض لينتفع به الناس في الآبار ، والعيون ، ونحو ذلك . وأنه جل وعلا قادر على إذهابه لو شاء أن يذهب فيهلك جميع الخلق بسبب ذهاب الماء من أصله جوعًا وعطشًا وبين أنه أنزله بقدر أي بمقدار معين عنده يحصل به نفع الخلق ولا يكثره عليهم ، حتى يكون كطوفان نوح لئلا يهلكهم ، فهو ينزله بالقدر الذي فيه المصلحة ، دون المفسدة سبحانه جل وعلا ما أعظمه وما أعظم لطفه بخلقه . وهذه المسائل الثلاث التي ذكرها في هذه الآية الكريمة ، جاءت مبينة في غير هذا الموضع .